التضحية والعمل في تبليغ الدين الإسلامي: سبل إصلاح المجتمع الإفريقي

الإمام يحيى جبريل نيانغ

الأمين العام لرابطة علماء الإسلام في الزاوية العمرية

عضو فرع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة- جمهورية السنغال

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي الأمين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تمثل القارة الإفريقية مسرحًا لتحديات كبرى في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية، مما يستدعي توجيه الجهود الدعوية بما يتناسب مع واقع مجتمعاتها واحتياجاتها الملحّة. وفي هذا السياق، يتناول هذا البحث دور التضحية والعمل في نشر تعاليم الإسلام، باعتبارهما من القيم الأساسية التي تساعد في بناء مجتمعات أكثر استقرارًا وتماسكًا، وتعزز التكافل الاجتماعي، وتدعم جهود التنمية المستدامة.

وتبرز أهمية هذه الدراسة في ظل ما تعانيه بعض المجتمعات الإفريقية من مشكلات كالفقر والجهل والنزاعات، مما يجعل الحاجة ملحّة لتفعيل القيم الإسلامية في الحياة اليومية، لا سيما التضحية والعمل، بوصفهما وسيلتين فعالتين لخدمة المجتمع والنهوض به. وتعد التضحية، سواء بالمال أو الجهد أو الوقت، إحدى العوامل التي تساهم في تعزيز المبادرات الدعوية والإصلاحية. وفي المقابل، يعتبر العمل المستمر أداة أساسية لتحقيق التنمية، حيث تُعد خدمة الإنسان لمجتمعه جزءًا أساسيًا من رسالة الإسلام التي تدعو إلى الإعمار والإصلاح.

وبناء على ذلك، يركز هذا البحث على استكشاف الدور الفاعل للتضحية والعمل في نشر تعاليم الإسلام في إفريقيا، مع دراسة أثرهما في تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية، ودمج العمل الدعوي بالأنشطة التنموية لضمان تلبية احتياجات المجتمعات بشكل واقعي ودائم.

ومن هنا تنبثق الإشكالية الرئيسة التي يعالجها البحث، والمتمثلة في كيفية مساهمة هذين العنصرين في نشر الإسلام وتعزيز الإصلاح الاجتماعي في ظل التحديات التي تواجهها القارة. ويندرج ضمن هذا التساؤل أيضًا تحديد العقبات التي قد تواجه تطبيق هذه القيم في المجتمعات الإفريقية، فضلاً عن استكشاف أفضل السبل لتكامل العمل الدعوي مع الأنشطة التنموية، وذلك لضمان تحقيق تأثير إيجابي ومستدام.

وللإجابة عن هذه التساؤلات، يتناول البحث ثلاثة محاور رئيسة، حيث يستعرض أولًا مفهوم التضحية والعمل في الإسلام كقيمتين محوريتين في بناء المجتمعات، ثم يناقش التحديات التي تواجه الجهود الدعوية في إفريقيا، وأخيرًا يبحث في سبل توظيف التضحية والعمل في خدمة الدعوة الإسلامية بما يعزز الاستقرار والتنمية، مع تقديم نماذج عملية يمكن الاستفادة منها في هذا المجال.

- **المبحث الأول: التضحية والعمل في الإسلام كقيمة دينية**
- **المبحث الثاني: التحديات التي تواجه تبليغ الدين في إفريقيا**
- **المبحث الثالث: التضحية والعمل في سبيل تبليغ الدين لما ينفع الناس في المجتمع الإفريقي**

المبحث الأول: التضحية والعمل في الإسلام كقيمة دينية

وفي هذا المبحث، سنتناول مفهوم التضحية في الإسلام من حيث معناها وأشكالها المتعددة، إضافة إلى مقاصدها الدينية والاجتماعية. كما سنتطرق إلى أهمية العمل في الإسلام ودوره كوسيلة لنشر الدعوة، وأثره في تعزيز نهضة المجتمعات الإسلامية، مع التركيز على قيمة العمل التطوعي وأبعاده في تحقيق التكافل الاجتماعي وتعزيز روح المسؤولية بين المسلمين.

ا. التضحية في الإسلام:

تعدّ التضحية في الإسلام مفهومًا مركزيًا يعكس روح العطاء والتفاني في سبيل الله، سواء كان ذلك من خلال بذل المال، أو الجهد، أو الوقت، أو غير ذلك. وتُفهم التضحية بوصفها عملاً خالصًا يُقدَّم لتحقيق مصلحة عامة أو خاصة، انطلاقًا من العقيدة الإسلامية التي تحثّ على الإيثار والتعاون والتضامن بين أفراد المجتمع.

مقاصد التضحية من منظور إسلامي:

تتمثل مقاصد التضحية في الإسلام في عدة جوانب أساسية تعكس البُعد الروحي والاجتماعي لهذه القيمة.

أولاً، تُعتبر التضحية وسيلة لتحقيق رضا الله وتعزيز التقوى، حيث يسعى المؤمن من خلالها إلى تطهير نفسه وتثبيت إيمانه. كما تهدف التضحية إلى نصرة الدين الإسلامي، من خلال بذل الجهد والمال والنفس في سبيل تعزيز المبادئ والقيم الإسلامية.

ثانيًا، تعكس التضحية تهذيب النفس من خلال تطهيرها من الأنانية، وغرس روح الإيثار والتضامن بين المسلمين، مما يسهم في تقوية الروابط بين أفراد المجتمع المسلم. بالإضافة إلى ذلك، تسهم التضحية في تعزيز التكافل الاجتماعي، حيث يتم تشجيع المسلمين على بذل ما لديهم من مال وجهد في مساعدة الآخرين وتخفيف

معاناتهم.

وأخيرًا، تعتبر التضحية أداة لإعمار الأرض، حيث يُشجع المسلم على السعي للعمل الصالح الذي يعود بالنفع على المجتمع ويحقق التقدم والازدهار. بناءً على ذلك، تشكل التضحية قيمة دينية شاملة تساهم في إحداث التغيير الإيجابي على المستوى الفردي والجماعي.

II. العمل في الاسلام:

إن العمل في الإسلام من القيم الأساسية، حيث يُعتبر وسيلة لتحقيق الاستخلاف في الأرض وتنمية المجتمع، هذا، وليس العمل مجرد وسيلة للرزق، بل هو عبادة إذا كان بنية صادقة وإخلاص محض لخدمة الله والمجتمع، لأن الإسلام يربط بين العمل والدين، مؤكدًا أن أداء المهام بإتقان وأمانة يعكس إيمان المسلم بربه. ومن هذا المنطلق، يصبح العمل أداة لبناء الفرد والمجتمع على أسس التعاون والعدالة، مما يسهم في تحقيق التقدم في مختلف المجالات.

أولًا: المعنى اللغوي والاصطلاحي للعمل

• **المعنى اللغوي:** يقول ابن فارس في مقاييس اللغة إن مادة (ع م ل) تدل على أصلٍ واحدٍ صحيح، وهو عامٌّ في كلّ فِعْلٍ يُفْعَل. قال الخليل: عَمِل يَعْمَل عَمَلاً، فهو عامل؛ واعتمل الرّجل، إذا عمِل بنفسه. قال:

إنّ الكريـم وأبيـكَ يَعتَمِـلْ إن لم يَجِـد يومـاً على مَـن يتّكِلْ[1]

• **المعنى الاصطلاحي:** العمل في الاصطلاح هو الجهد المبذول من الفرد لتحقيق هدف أو غاية معينة. ويختلف تعريفه حسب السياق:

1- مقاييس اللغة، ص:145.

- **في الفقه الإسلامي:** هو فعل يتطلب جهدًا لتحقيق غاية مشروعة وفقًا للشريعة.
- **في الاقتصاد:** هو الجهد البشري المستخدم لإنتاج السلع والخدمات.
- **في الفلسفة:** يُعتبر وسيلة لتحقيق الذات والتغيير في البيئة.

إذن، العمل هو النشاط الموجه نحو غاية محددة سواء كانت دنيوية أو دينية.

ثانيًا: العمل في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

يحتل العمل مكانة في الإسلام وفقًا للقرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يُعد وسيلة أساسية لتحقيق الاستخلاف في الأرض. وقد حث الإسلام على العمل في مختلف مجالات الحياة، سواء الدينية أو الدنيوية، شريطة أن يكون بنيّة صادقة ويتفق مع ما يرضي الله.

1 - العمل في القرآن الكريم:

يحث القرآن الكريم على العمل في عدة آيات ويعتبره من علامات الإيمان والتقوى. ومن أبرز الآيات التي تتناول العمل:

• الآية 105 من سورة التوبة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

تُبيّن هذه الآية أن العمل مقياس للتقوى والإيمان، وأن الله مطلع على أعمال العباد، فيجازيهم عليها بالعدل والفضل.

• الآية 245 من سورة البقرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾

هذه الآية توضح أن العمل الصالح في سبيل الله يُجزى بالخير ويفتح أبواب النماء

والبركة.

2 - العمل في السنة النبوية:

لقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث على أهمية العمل وأجره، وبيّن أن العمل الجاد في الدنيا له ثواب عظيم في الآخرة، كما نبّه على أن السعي لكسب الرزق الحلال يعد من أعظم صور العبادة والطاعات.

• حديث أبي هريرة: " إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له"[1] .

هذا الحديث يُظهر أن العمل الصالح والنافع في الدنيا يستمر أثره بعد وفاة الإنسان، خاصة إذا كان يعود بالفائدة على المجتمع، مما يجعله مصدرًا مستمرًا للأجر والثواب.

• حديث المقدام بن معدي بن كرب بن عمرو الكندي: "ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعامًا قَطُّ، خَيْرًا مِن أنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نَبِيَّ اللَّهِ داوُدَ عليه السَّلامُ، كانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ."[2]

يدعو الحديث إلى الاعتماد على العمل والسعي لكسب الرزق بالحلال، مبينًا أن هذا هو أفضل أنواع الرزق، وهو ما يعزز قيمة الجد والاجتهاد في الإسلام.

يتضح مما سبق أن العمل في الإسلام ليس مجرد وسيلة لكسب الرزق، بل هو قيمة دينية واجتماعية تُعزز دور الإنسان في تحسين حياته ومجتمعه. فقد أكّد القرآن الكريم على مكانة العمل وربطه بالإيمان والتقوى، كما جاءت السنة النبوية لتؤكد فضله وأجره في الدنيا والآخرة. لذا، فإن السعي في الأرض بالعمل الجاد والكسب الحلال هو من أعظم صور العبادة التي تحقق للإنسان العزة والكرامة،

1-أخرجه مسلم (1631)، وابن أبي الدنيا في ((النفقة على العيال)) (430) واللفظ له.

2- صحيح البخاري، رقم: 2072.

وتساعد في بناء مجتمع قوي قائم على الجد والاجتهاد.

ثالثًا: العمل الإسلامي بين الفردية والمؤسسية

يشهد العمل الإسلامي المعاصر تحولًا بارزًا من النشاط الجماعي إلى العمل المؤسسي، حيث أصبح يعتمد على أسس تنظيمية وإدارية تسهم في تحقيق الأهداف الدعوية بطريقة أكثر تنسيقًا وفعالية.

وانطلاقا من الدعوة الفردية التي بدأ بها النبي صلى الله عليه وسلم وصولًا إلى العمل الجماعي في المدينة المنورة، يتضح أن الدعوة الإسلامية قامت على مبدأ التعاون والعمل الجماعي، وهما من الركائز الأساسية التي تميز النهج المؤسسي في الإسلام.

فالعمل المؤسسي في السياق الإسلامي يعتمد على العديد من المبادئ الهامة مثل مبدأ التعاون كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1]، وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"يدُ اللهِ مع الجماعَةِ "**[2] . وهذا النهج يدعونا إلى ضرورة التوجه إلى العمل الجماعي والتنظيم المؤسسي، حيث يعتبر العمل الجماعي فريضة شرعية وضرورة إنسانية، ويمثل الدعوة الإسلامية كما يريدها الله بأحسن الأساليب وبأطهر الوسائل.

ويُلاحظ أن هذا التطور لم يكن مجرد انتقال تنظيمي، بل كان استجابة طبيعية لحاجة الدعوة الإسلامية إلى وسائل أكثر فاعلية واستدامة. فالدعوة الإسلامية، في مفهومها اللغوي، تشير إلى الحث على أمر معين أو دعوة الناس إلى ما هو خير. وقد عرَّفها الأستاذ محمد الغزالي قائلاً: «هي برنامج كامل يضم في طياته جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليُبصروا الغاية من حياتهم، وليستكشفوا معالم الطريق

1- سورة المائدة، الآية:2.

2- أخرجه الحاكم (398)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (702)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (239) بزيادة في أوله.

التي تجمعهم راشدين.»[1]

وهي مهمة سامية تنطلق من الفرد ثم تمتد لتشمل الجماعة. وتتجلى أهدافها في نشر العقيدة وتعزيز الإيمان بالشريعة الإسلامية، إلى جانب العمل الخيري والمشاركة في الشأن العام. فأما في سياق العمل المؤسسي، فنلحظ كيف بدأت الدعوة بجهود فردية ثم تحولت إلى عمل جماعي، إلى أن تطورت لاحقًا لتأخذ طابعًا مؤسسيًا من خلال الحركات الإسلامية التي ظهرت في القرن العشرين.

وفي هذا السياق، تعد مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، التي أسسها صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، مثالًا بارزًا للتعاون العلمي والثقافي بين المغرب ودول القارة الإفريقية. تأسست هذه المؤسسة بهدف تعزيز دور العلماء في نشر المعرفة وتطوير العلوم في مختلف أنحاء إفريقيا، مع التركيز على نشر القيم الإسلامية المعتدلة وتعزيز الحوار بين الأديان[2].

ومن خلال برامجها المتنوعة، تؤدي المؤسسة دورًا مهمًا في تقديم الدعم العلمي والتأهيلي للعلماء الأفارقة، وتعمل على تمويل مشاريع بحثية تعزز مستوى التعليم العالي في المنطقة، كما تقدم منحًا دراسية وتوفر منصات علمية لتبادل الخبرات، مما يعكس إيمان صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله بأهمية العلم في تحقيق التنمية الشاملة.

تعد هذه المؤسسة نموذجًا يحتذى به في مجال التعاون العلمي الذي يعزز من وحدة القارة الإفريقية ويسهم في تقدمها المعرفي، ودورها البارز في جمع العلماء والمفكرين من مختلف الدول الإفريقية لمواصلة العمل المشترك في خدمة قضايا التنمية والعلم. هذا التوجه يعكس التطور المستمر في العمل الإسلامي الذي يمتد اليوم ليشمل مختلف المجالات العلمية والثقافية، ويعزز التعاون بين الشعوب

1- كتاب "مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة" لمحمد الغزالي، ص:17، دار الكتب الحديثة بمصر.

2- http://www.fm6oa.org

الإسلامية في سياق يضمن تعزيز الاستدامة العلمية والروحية.

وختامًا يمكن القول، إن العمل الإسلامي قد شهد تطورًا كبيرًا من المرحلة الفردية إلى المرحلة المؤسسية، حيث أسهم ذلك في تعزيز فاعليته وانتشاره في أوساط المجتمع الإسلامي. وإن العمل الفردي كان بمثابة الأساس الذي أرسى النبي صلى الله عليه وسلم دعائمه، في حين أن الانتقال إلى العمل المؤسسي جاء استجابة للحاجة المُلِحَّة لتنظيم الجهود الدعوية وتحقيق الأهداف على نطاق أوسع.

وبفضل المؤسسات الدعوية الحديثة، أصبحت الجهود الجماعية أكثر تنسيقًا واحترافية، مما يعكس قدرة المسلمين على التكيف مع تحديات العصر بوسائل حديثة، مع الحفاظ على القيم والمبادئ التي أرساها الإسلام. فالعمل المؤسسي لا يقتصر على تعزيز فاعلية الدعوة الإسلامية فحسب، بل يؤدي دورًا محوريًا في نشر مبادئها وتعاليمها على نطاق أوسع، مما يجسد الإيمان العميق بأهمية العمل الجماعي المنظم في تحقيق الأهداف الدعوية.

رابعا: العمل التطوعي وأثره في المجتمعات الإسلامية.

يشهد العمل الإسلامي اليوم تحولًا من الجهود الفردية إلى العمل المؤسسي، حيث أصبحت الهياكل التنظيمية عنصرًا أساسيًا في تحقيق الأهداف الدعوية والاجتماعية بفعالية. وفي هذا السياق، يبرز العمل التطوعي كأحد أهم مظاهر هذا التحول، حيث يعزز التكافل الاجتماعي والتنمية المستدامة داخل المجتمعات الإسلامية، سواء من خلال المبادرات الفردية أو عبر المؤسسات المنظمة التي تضمن استمراريته وتأثيره الواسع.

يعتبر العمل التطوعي تجسيدًا لروح التعاون والتكافل التي حث عليها الإسلام. ويتجلى هذا المبدأ في سيرة الأنبياء، كما في طلب موسى عليه السلام من ربه أن يجعل له وزيرًا من أهله، حيث قال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي

﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[1] ، مما يبرز أهمية التعاون في نشر الرسالة وتحقيق الأهداف الكبرى. ويؤكد النبي ﷺ هذا المبدأ بقوله: "أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس"[2] ، وهو حديث يعكس قيمة الإحسان وخدمة الآخرين في الإسلام.

ويأخذ العمل التطوعي أشكالًا متنوعة، منها الجهود الفردية كتعليم الأميين ومساعدة الفقراء، ومنها المبادرات المؤسسية عبر الجمعيات الخيرية والمشاريع المجتمعية، إضافة إلى العمل الإغاثي في الأزمات والكوارث. وهكذا، فإن التكامل بين التطوع الفردي والمؤسسي يُعِين على تحقيق أقصى درجات النفع للمجتمع، ويضمن استمرارية الجهود التطوعية بشكل فعال ومنظم.

ويؤدي العمل التطوعي دورًا محوريًا في تعزيز التماسك الاجتماعي، وتحقيق التنمية المستدامة، والمساهمة في الحد من الفقر والبطالة، كما يساعد في ترسيخ القيم الأخلاقية والمواطنة الفاعلة داخل المجتمعات الإسلامية. وتبرز أهميته أيضًا في دعم القطاعات الصحية والتعليمية والاجتماعية، حيث تهدف الجهود التطوعية إلى تحسين مستوى الخدمات العامة، وتخفيف العبء على المؤسسات الحكومية.

وبالنظر إلى التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم، مثل الأزمات الاقتصادية والنزاعات الاجتماعية، يصبح من الضروري تبني استراتيجيات لتعزيز العمل التطوعي، من خلال سياسات حكومية تشجع عليه، وبرامج تعليمية تُرسّخ ثقافته بين الأجيال الناشئة، إضافةً إلى استثمار التكنولوجيا الحديثة في تنظيم وتطوير المبادرات التطوعية، فإن تعزيز ثقافة التطوع لا يعزز فقط روح التعاون والمواساة، بل يساهم أيضًا في بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات وتحقيق نهضة شاملة قائمة على القيم الإسلامية والإنسانية[3] .

1- سورة طه، الآية:29.

2- أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (6026).

3- تُجسّد مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة نموذجًا للعمل التطوعي المؤسسي، حيث تسهم في ترسيخ قيم الإسلام السمحة عبر توحيد جهود العلماء، ودعم الإصلاحات التنموية، وتنشيط الفكر والثقافة. كما تعمل على توطيد العلاقات

وفي الختام، يتضح أن العمل التطوعي يعد من أهم الوسائل التي تعزز تماسك المجتمعات الإسلامية وتساهم في تحقيق التنمية المستدامة. من خلال قيم التعاون والتكافل الاجتماعي التي يدعو إليها الإسلام، يمكننا أن نرى تأثير العمل التطوعي على النهوض بالمجتمعات وتحقيق رفاهيتها سواء عبر المبادرات الفردية أو المؤسسية. فاستمرارية هذا العمل وتطويره يعد خطوة أساسية نحو بناء مستقبل مشرق يعتمد على التعاون والتضامن بين الأفراد والمؤسسات.

المبحث الثاني: التحديات التي تواجه تبليغ الدين في إفريقيا

• التنوع الثقافي والديني في إفريقيا

يشكل التنوع الثقافي والديني في القارة الإفريقية أحد أبرز التحديات التي تواجه تبليغ الدين الإسلامي، إذ يختلف الخطاب الديني وفقًا للخلفيات الثقافية والتقاليد المحلية لكل مجتمع. ويتطلب نجاح الدعوة الإسلامية اعتماد منهج حواري يتماشى مع هذا التنوع، والتركيز على القيم المشتركة وتعزيز التفاهم بين مختلف المكونات الدينية. كما أن فهم السياقات التاريخية والاجتماعية لكل منطقة ضروري لتقديم خطاب دعوي أكثر فاعلية وتأثيرًا، وقائم على الحكمة والموعظة الحسنة، مما يساعد على تعزيز جسور التواصل وترسيخ قيم التعايش السلمي بين الشعوب.

تُعدّ التجربة السنغالية مثالًا بارزًا على نجاح منهج الحوار في تبليغ الدين الإسلامي في إفريقيا، حيث يشتهر الإسلام هناك بتعايشه السلمي مع الأديان والمعتقدات الأخرى، مثل المسيحية والديانات التقليدية. وقد أسهمت الطرق الصوفية، مثل الطريقة المريدية والتيجانية، في نشر الإسلام بأسلوب متسامح يحترم الخصوصيات الثقافية للسكان المحليين. وتجدر الإشارة إلى أن السنغال تُعد من الدول ذات الأغلبية المسلمة، حيث يشكل المسلمون حوالي 96% من سكانه[1].

التاريخية بين المغرب والدول الإفريقية، وحفظ التراث الإسلامي، وتعزيز التعاون مع الهيئات ذات الاهتمام المشترك، مما يجعلها فاعلًا رئيسيًا في التنمية المستدامة.

1 - Rapport définitif RGPHAE 2013, Agence Nationale de la Statistique et de la Démographie (ANSD), (SENEGAL), septembre 2014 (الوكالة الوطنية للإحصاء والديموغرافيا)

ومن خلال التركيز على القيم المشتركة مثل العدالة، والتضامن، واحترام التقاليد، استطاع العلماء والدعاة في السنغال بناء علاقات متينة مع مختلف الطوائف، مما ساعد على تحقيق اندماج الإسلام في النسيج الاجتماعي دون إثارة نزاعات دينية. كما أن اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال[1] ساهم بشكل فعال في نشر التعليم الديني عبر إنشاء المدارس العربية الإسلامية، مما أدى إلى تعزيز الهوية الإسلامية وترسيخ قيم الدين لدى الأجيال الناشئة، مع الحفاظ على التعايش السلمي بين مختلف مكونات المجتمع.

وإلى جانب هذا التنوع الديني والثقافي، تبرز تحديات أخرى تتعلق بالظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على مسار الدعوة الإسلامية في القارة. فالفقر والبطالة والتفاوت الاجتماعي في العديد من الدول الإفريقية تزيد من صعوبة الوصول إلى الفئات المستهدفة.

• الظروف الاقتصادية والاجتماعية

تؤثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية بشكل كبير على عملية نشر الإسلام في إفريقيا، حيث يؤدي الفقر والبطالة وانخفاض مستوى التعليم إلى إضعاف فرص التفاعل مع الخطاب الديني، مما يستدعي استراتيجيات عملية لمواجهة هذه العقبات. فالعمل الدعوي لا يقتصر على نقل التعاليم الإسلامية، بل يشمل أيضًا تقديم الدعم الاجتماعي والتنموي للمجتمعات المحتاجة، إذ إن تحقيق المنافع المادية والمعيشية يحفّز الاستجابة الإنسانية، كما يؤكـــده النفس الاجتماعي، مما يجعل التكامل بين العمل الدعوي والخدمات التنموية ضرورة لتعزيز مقاصد الرسالة الإسلامية.

ولكن في مقابل هذه التحديات، نجد أن هناك جهودًا تطوعية من قبل الدعاة

1- تضع اتحاد الجمعيات الإسلامية في السنغال تدريب الأطفال في صميم أولوياتها، من خلال توفير جميع الفرص لهم للمشاركة الفعّالة والمسؤولة في المجتمع السنغالي الحر. ومن خلال مدارسها التابعة، أثبتت هذه المؤسسة الإسلامية فعاليتها في مجال التعليم وتدريب العلماء والدعاة.

والمجتمعات الإسلامية للتغلب على هذه الصعوبات. فعلى سبيل المثال، يتجلى دور التضحية والعمل من خلال المبادرات التي تشرف عليها مؤسسات إسلامية وجمعيات خيرية تهدف إلى تقديم التعليم المجاني، وتحسين أوضاع الفقراء، وتعزيز الوعي الديني، مما يساهم في فتح أبواب الدعوة في ظروف ملائمة.

ولا تقتصر العقبات على الجانب الاقتصادي والاجتماعي فحسب، بل تمتد إلى التحديات السياسية والأمنية التي تفرض واقعًا معقدًا أمام الدعاة في بعض الدول الإفريقية، حيث تؤثر النزاعات المسلحة والأنظمة السياسية القمعية على حرية ممارسة الدعوة وتعطيل عمل المنظمات الإسلامية.

• القضايا السياسية والتحديات الأمنية

تواجه الدعوة الإسلامية في بعض البلدان الإفريقية تحديات تتعلق بالأوضاع السياسية والأمنية، حيث تعاني العديد من هذه البلدان من النزاعات المسلحة أو الاستقرار السياسي الهش. وتؤثر هذه الظروف بشكل كبير على عمل الدعاة، سواء من خلال قمع الأنظمة السياسية لبعض الأنشطة الدينية أو من خلال الخوف من التعرض للملاحقة. وإضافة إلى ذلك، فإن النزاعات الداخلية والصراعات الطائفية قد تعرقل العمل الدعوي وتؤدي إلى انقسام المجتمعات بين الفئات الدينية المختلفة، مما يعزز نزعات التطرف والغلوّ التي تزيد من تعقيد الوضع.

على الرغم من هذه التحديات، يبقى العمل الدعوي في بعض البلدان الإفريقية مشهودًا له بالثبات والمثابرة، حيث يتبنى الدعاة نهج الحوار بين الأديان، ويسعون إلى نشر الخطاب الديني الذي يعزز التفاهم المشترك ويحارب الأفكار المتطرفة. كما يسعون إلى تجنب الانقسامات السياسية التي قد تؤدي إلى الصراعات. لذا كان من الضروري اعتماد استراتيجيات مرنة، عبر التعاون مع المجتمع المدني والحكومات المحلية، لتعزيز السلام والاستقرار في المنطقة.

وفي كلمته التوجيهية في الدورة التواصلية الثانية حول "الثوابت الدينية في

إفريقيا: الواقع والآفاق"، أكد الدكتور أحمد التوفيق، الرئيس المنتدب لمؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، على أهمية الدور الذي يجب أن يؤديه العلماء في تعزيز الثوابت الدينية في إفريقيا. وبيّن أن العلماء يجب أن يكونوا نموذجًا في التقوى والخدمة للناس، وأن يتسموا بالتواضع والصدق، وأن يظلوا قريبين من المجتمعات التي يخدمونها بدلاً من الانعزال عنها.

كما أشار إلى أن مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة تهدف إلى تصحيح مفهوم العالم المتواضع والمحبوب، من خلال تعزيز التعاون مع المجتمع المدني والحكومات المحلية لتحقيق السلام والاستقرار، مع العمل على تقليل التوترات والصراعات الطائفية التي قد تعرقل التعايش بين المجتمعات. وأضاف الدكتور التوفيق في كلمته إلى أن صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعزه الله، قد وجه العلماء في خطابه قائلاً: "لا تكونوا جزراً مهجورة في وسط أمتكم أو منعزلة"، وهو ما يعكس أهمية دور العلماء في التفاعل مع المجتمع وعدم الابتعاد عنه[1].

وفي ظل هذه التحديات المتعددة، أصبح من الضروري تبني استراتيجيات فعالة لمواجهة العقبات وتعزيز نشر رسالة الإسلام بأساليب متجددة ومتكيفة مع الواقع الإفريقي، مع التركيز على البعد الإنساني في الدعوة، من خلال تعزيز قيم التسامح، والتعايش السلمي، وخدمة المجتمعات المحلية، بما يرسّخ صورة الإسلام كدين رحمة وعدل.

المبحث الثالث التضحية والعمل في سبيل تبليغ الدين لما ينفع الناس في المجتمع الإفريقي

بعد أن استعرضنا مكانة التضحية والعمل وأثرهما الإيجابي، وبالإضافة إلى التحديات التي تواجه تبليغ الدين في إفريقيا، أصبح من الضروري الآن التوجه

1- الدورة التواصلية الثانية بموضوع: «الثوابت الدينية في افريقيا: الواقع والآفاق» من الثلاثاء 6 إلى الخميس 8 رمضان 1439هـ/ الموافق لـ: 22 - 24 مايو 2018م في الرباط، ص20.

نحو بحث سبل تبليغ الدين بشكل يحقق الفائدة للمجتمعات الإفريقية في الوقت الراهن.

ويُطلَق مُصطلَحُ (سَبِيل) على الشَّريعَة التي أنْزَلَها اللهُ تعالى لِعِبادِهِ المُوصِلَة إلى طاعَتِهِ ومَرْضاتِهِ. فهي تشتمل على مجموعة من الوسائل والمبادئ التي تهدف إلى تحقيق المنفعة العامة[1]. وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به الإنسان في طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع الطاعات.

قال ابن حجر رحمه الله "وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص أريد به التقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات"[2].

إن الإسلام دين يهدي إلى الاستقامة والاعتدال، ويدعو إلى التمسك بالطريق القويم الذي يقود إلى رضا الله والفلاح في الدنيا والآخرة. وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الانحراف عن هذا الصراط المستقيم، مبيّنًا أن التفرّق يؤدي إلى الضلال.

وقد عبّر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا المبدأ بأسلوبٍ بليغٍ يُظهر أهمية الالتزام بالطريق المستقيم، حيث خط خطا مستقيما فقال: هذا سَبيلُ اللهِ مُستقيمًا، ثمَّ خَطَّ عن يمينِه وشِمالِه خطوطا فرعية، ثمَّ قال: هذه السُّبُلُ ليس منها سَبيلٌ إلّا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[3]

إن التوجيه الإلهي وما يتضمنه من نهي رباني، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]، يبرز أهمية بذل الجهد والتضحية والاجتهاد في العمل، حيث تؤدي هذه القيم إلى تحقيق نتائج

1- https://islamic-content.com/dictionary

2- هدي الساري، ص:136.

3- أخرجه أحمد (4142)، والنسائي في "السنن الكبرى" (11174)، والبزار (1865) واللفظ له.

4- سورة العنكبوت، الآية:69.

إيجابية تعود بالنفع على الناس. وفي المقابل، فإن الإهمال والتقصير يؤديان إلى نتائج سلبية تضر المجتمع.

ومن هنا، يتضح أن الإسلام لا يقتصر على الدعوة إلى الاستقامة في العبادة فحسب، بل يمتد ليشمل الدعوة إلى التضحية والعمل الجاد في كل مجالات الحياة، ساعيًا إلى تحقيق الخير والعدل للمجتمع. فكما يُحذر من التفرّق والضلال، يشدد على أهمية السير على الطريق القويم والعمل الجاد في سبيل الله لتحقيق المصلحة العامة.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية السامية، لا بد من التماس الوسائل المشروعة واتباع الأسباب الصحيحة، كما أشار الله تعالى في كلامه لعبده ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾[1].

فالإنسان، سواء كان فردًا أو جماعة، عندما يقرر أن يسعى نحو تغيير واقعه وتحقيق حياة أفضل، فإن الإرادة تكون هي القوة الدافعة نحو ذلك. وعندما يتوحد الشعب في إرادته، فإن القدر لا بد أن يستجيب لهذه الإرادة، وهو ما يعبر عنه قول الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي:

إذا الشَّعْب يوماً أرادَ الحياةَ * فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجيبَ القدرْ

تتمتع الشعوب الإفريقية بإرادة قوية وطاقات هائلة، وإذا ما بذلوا الجهود اللازمة وتَحَلَّوْا بالتضحية، سيكون بإمكانهم تحقيق تقدم ملموس يتفوق على ازدهار الغرب. بدلاً من الانخراط في مغامرات انتحارية عبر رحلات محفوفة بالمخاطر إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث أصبح العديد من الشباب ضحايا في البحار، لتصبح أجسادهم فريسة لدواب البحر. فهذا النوع من التصرفات يعد من باب التهلكة التي نهى الله عنها، كما ورد في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

1- سورة الكهف، الآية: 84 - 85.

إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1].

إن دورنا اليوم كعلماء دين يكمن في نشر الوعي بين الشباب، وتوجيههم نحو تبني ثقافة السلم والتسامح، والعمل الجاد، والتضحية، والعزم، مع تعزيز الاعتماد على النفس. من خلال تنوير عقولهم بنور الكتاب والسنة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

وكذلك، يجب علينا السعي الجاد لتوجيه الشباب نحو ما يعود بالنفع، مع تحفيزهم على استغلال الوسائل المتاحة وتفعيل طاقاتهم الشخصية، وتعزيز إرادتهم لتجاوز التحديات وعدم الاستسلام لليأس.

ومن السبل المؤدية إلى المنفعة في المجتمع الإفريقي، تشجيع الشباب على تعلم المهارات في مختلف المجالات مثل الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، مما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع دون أن يكون كَلاًّ على الآخرين.

كما يجب تفعيل سبل تبليغ الدين بما ينفع الناس في البلدان الإفريقية، من خلال تعزيز القيم الإسلامية التي تدعو إلى العمل الصالح، والتعاون المثمر، والعدالة الاجتماعية، واتباع السبل التي تُسهم في تنمية المجتمعات.

وتتطلب أيضا التركيز على نشر القيم الإسلامية التي تشجع على الصالح العام، وتوجيه الشباب نحو المهارات المفيدة التي تساهم في تنمية المجتمعات وتحقيق رفاهية الأفراد. فالدعوة إلى تعلم هذه المهارات والعمل المثمر تُعد جزءًا من الواجب الديني الذي يسعى إلى خدمة المجتمع والإسهام في تحسين حال الناس وتحقيق المصلحة العامة، كما أمر بذلك الإسلام.

1- سورة البقرة، الآية:195.

2- سورة المائدة، الآية:15 - 16.

ولأداء هذه المهمة بفعالية، تتوافر أمام الجميع وسائل التبليغ الحديثة التي يمكن الاستفادة منها بشكل واسع. فيمكن للعلماء الأفارقة استغلال منصات التواصل الاجتماعي على نطاق واسع لنشر رسائلهم الدينية، فضلاً عن البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي تتيح لهم الوصول إلى جمهور المواطنين. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن استغلال المنابر في خطب الجمعة والحلقات الدينية التي تُعقد في المناسبات المختلفة، لتوجيه الشباب وتحفيزهم على تبني قيم العمل الجاد والإيجابي في المجتمع.

ومن المهم أن تتضافر هذه الجهود مع الابتكار في استخدام الوسائل الرقمية الحديثة مثل الفيديوهات التوعوية على الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي كـ"واتساب" و"فيسبوك"، و" تلغرام "... مما يتيح إيصال الرسالة إلى جمهور أوسع في مختلف المناطق، ويعزز دور العلماء في نشر المعرفة الدينية التي تخدم المجتمع وتحقق التنمية الشاملة.

وباختصار، لم يعد دور العالم الإفريقي اليوم مقتصرًا على تعليم الناس أحكام العبادات والمعاملات كالصلاة والزكاة أو مسائل الأحوال الشخصية، بل امتد إلى مجالات أوسع وأكثر شمولًا تلبي احتياجات المجتمع المعاصر.

إن دور علماء الأمة يمتد ليشمل مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمع، والعمل على بناء وعي شامل يعزز من نهضة القارة. وإن لم يؤدوا هذا الدور الريادي، فقد تنتشر الفتن والمشكلات في المجتمعات، لا قدَّر الله.

وفي هذا السياق، ينبغي أن نوجه الشباب الإفريقي إلى تبني روح العمل والمسلك الإنساني القائم على الضمير الحي، كما جسده الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم. فهم يُمثلون لنا - نحن المسلمين - النموذج الأسمى الذي نستلهم منه القيم والمبادئ السامية في حياتنا، ونقتدي بهم في بناء مجتمع متماسك يقوم على الإخلاص والعمل الجاد، وخدمة الإنسانية.

فهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يتحدث عن موقفه في الاكتساب ويرينا كيف ينجح الإنسان عن طريق العمل والتضحية، فقال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة، وفي هذا قال محمد بن يوسف: حدثنا سفيان عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قَدِمَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فَآخى النبيُّ ﷺ بيْنَهُ وبيْنَ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ الأنْصارِيِّ وعِنْدَ الأنْصارِيِّ امْرَأَتانِ، فَعَرَضَ عليه أنْ يُناصِفَهُ أهْلَهُ ومالَهُ، فَقالَ له: بارَكَ اللَّهُ لكَ في أهْلِكَ ومالِكَ، دُلُّونِي على السُّوقِ، فأتى السُّوقَ فَرَبِحَ شيئًا مِن أقِطٍ[1] ، وشيئًا مِن سَمْنٍ، فَرَآهُ النبيُّ ﷺ بَعْدَ أيّامٍ وعليه وضَرٌ[2] مِن صُفْرَةٍ [3]، فَقالَ: مَهْيَمْ[4] يا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَقالَ: تَزَوَّجْتُ أنْصارِيَّةً، قالَ: فَما سُقْتَ [5] إلَيْها؟ قالَ: وزْنَ نَواةٍ مِن ذَهَبٍ، قالَ: أوْلِمْ ولو بشاة[6] .

وفي هذا الحديث، يعرض سعد على عبد الرحمن أن يشاركه في ماله وأهله، إلا أن عبد الرحمن يرفض قائلاً: "بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دلوني على السوق"، فيختار العمل والاعتماد على نفسه. فيُظهر الحديث أهمية العمل والإصرار على الاستقلال المالي، وأيضًا يشير إلى أن الفرح والمشاركة في المناسبات الاجتماعية جزء من الحياة الإسلامية. ومن أمثال الفلانيين " لقمة تأكلها من عرق الجبين خير من تلك التي تأكلها من عرق جبين الغير".

خاتمة:

من الواضح أن التضحية والعمل يشكلان قيمًا أساسية تسهم في نشر الدين الإسلامي وإصلاح المجتمع الإفريقي، من خلال تأثيرهما المباشر على تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية وتعزيز التنمية المستدامة. وتبرز أهمية دمج

1- شيئا من أقط: لبن جامد معروف.

2- وضر بفتح الواو والضاد المعجمة لطخ.

3- من صفرة: من طيب أو خلوف يسير.

4- مهيم: بفتح الميم الأولى وسكون الهاء وفتح التحتية وسكون الميم بعدها أي ما شأنك.

5- فما سقت إليها: أي فما أعطيت في مهرها.

6- أخرجه البخاري، 2 /268.

العمل الدعوي مع الأنشطة التنموية التي تلامس احتياجات المجتمع بشكل عملي. إن تعزيز هذه القيم وتطبيقها في السياق الإفريقي يمثل خطوة هامة نحو تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة في القارة.

ومن الواضح أن تبليغ الدين بما ينفع الناس في المجتمع الإفريقي يتطلب تبني عدة سبل لتعزيز القيم الإسلامية. أولاً، عبر المدارس والمؤسسات التعليمية التي تركز على تفسير القيم الدينية بما يتناسب مع الواقع المحلي. ثانيًا، من خلال التعاون مع المجتمع المدني لتنفيذ مشاريع اجتماعية تهدف إلى تحسين مستوى المعيشة ومكافحة الفقر. بالإضافة إلى ذلك، يعد استخدام الإعلام والمحتوى الرقمي وسيلة فعّالة لنشر الخطاب الديني في عصرنا الحالي.

وإلى جانب ذلك، فإن تنظيم ندوات حوارية بين الأديان يسهم في تعزيز الفهم المتبادل وتقوية التعايش السلمي. ومن المهم أيضًا أن يكون الداعية قدوة عملية بتطبيق القيم الإسلامية في حياته اليومية، مما يشجع الآخرين على الاقتداء به. علاوة على ذلك، تساهم الأنشطة الاجتماعية والتطوعية في نشر قيم الإحسان والعمل الخيري. ولا يمكننا نسيان دور الشباب، الذين يمكنهم أن يكونوا جزءًا من هذه العملية من خلال المبادرات الدينية التي تركز على تفعيل القيم الإسلامية في المجتمع. وأخيرًا يعتبر تكيف الأفراد مع تحديات الحياة وفقًا لمبادئ الدين الإسلامي أمرا ضروريا.

وصلى الله وسلم على سيّدنا مُحَمَّدٍ طِبِّ الْقُلُوبِ ودوائِها. وَعَافِيةِ ٱلأَبدان وَشِفَائِهَا. ونور ٱلأَبْصار وَضِيائِهَا. وَقُوتِ ٱلأَرْوَاح وَغِذَائِهَا. وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ومن تبعهم إلى قيام الساعة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

النتائج:

أسفر هذا البحث عن مجموعة من النتائج المهمة، من أبرزها:

1. الدور المحوري الذي تؤديه التضحية والعمل الصالح في تبليغ الدين الإسلامي،

باعتبارهما وسيلتين فاعلتين في نشر القيم الإسلامية وتعزيز التماسك المجتمعي.

2. العلاقة الوثيقة بين العمل الدعوي والعمل التنموي، حيث يعمل التكامل بينهما على تحقيق نهضة متكاملة للمجتمعات الإفريقية.

3. تعدد التحديات التي تواجه نشر الدين في إفريقيا، والتي تشمل العقبات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما يستدعي استراتيجيات دعوية فعالة.

4. التأثير الإيجابي للمشاريع الخيرية والدعوية في تحسين الظروف المعيشية وتعزيز الوعي الديني لدى مختلف الفئات المجتمعية.

5. استشراف الآفاق المستقبلية لتبليغ الدين الإسلامي في إفريقيا، من خلال تطوير منهجيات جديدة تراعي الخصوصيات المحلية وتسهم في تحقيق تنمية مستدامة.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.

2. صحيح البخاري.

3. صحيح مسلم.

4. السنن الكبرى، للبيهقي.

5. النهاية، لابن الأثير.

6. هَدْيُ السَّاري لمقدِّمةِ فَتْح الباري.

7. مقاييس اللغة، لابن فارس.

8. مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، لمحمد الغزالي.

/https://www.fm6oa.org .9

Rapport définitif RGPHAE 2013, Agence Nationale de la .10
.Statistique et de la Démographie (ANSD), (SENEGAL), septembre 2014